عَرْف البَشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام

تأليف محمد خليل المرادي المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ
وتحقيق الاستاذين محمد مطيع الحافظ ورياض عبد الحميد مراد
مطبوعات مجمع اللغة العربية ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م

الدكتور محمد عبد اللطيف فرفور

ظلّ هذا الكتاب مخطوطاً مطّرحاً على رفوف المكتبات ، يعلوه الغبار ، حتى قيض الله سبحانه له من ينفض عنه غبار القرون ، فجاء الشابان الاستاذ محمد مطيع الحافظ والاستاذ رياض عبد الحميد مراد فقاما بتحقيقه وطَبَعَهُ مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٧٩ .

أما هذا الكتاب فطريف في موضوعه دسم في مادته ، مؤلفه مفتي دمشق الشام في زمنه ونقيب الاشراف فيها ، صدر الدين أبو الفضل محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد المرادي المتوفى في حلب سنة ١٢٠٦هـ = ١٧٩١ م . وكان قد تولى منصب الإفتاء بدمشق الشام سنة ١١٩٣ وبقي فيه حتى وفاته . وهو بعدُ أديب شاعر كاتب من أبرز علماء عصره في بلده ، ألّف كتابه هذا بعد توليه منصب الافتاء استجابة لطلب أحد علماء عصره الشيخ محمد الدويكي ، فجمع تراجم لسبعة وثلاثين مفتياً بدمشق ، منذ اختيار أول مفتٍ لدمشق سنة ٩٢٢ هـ يوم دخلها السلطان سليم العثماني ورتب أمور الفتوى فيها الى عصر المؤلف ، الى كتب أخرى ألّفها المرادي تجدها في ثبت مؤلفاته في ترجمته الحافلة في أول الكتاب ، على رأس تلك المصنفات سلك الدرر المشهور الذي عرف به المرادي فيما بعد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يقع كتاب (عرف البشام) في خمسة فصول ، ضم الفصل الاول مقدمات في الفتوى وآدابها ، وشمل الفصل الثاني تراجم لتسعة مفتين من القرن العاشر ، وفي الفصل الثالث تراجم لأربعة عشر مفتياً من القرن الحادي عشر ، وفي الفصل الرابع تراجم لثلاثة عشر مفتياً من القرن الثاني عشر ، وفي الفصل الخامس والاخير خص المرادي نفسه بترجمة ذاتية ملأها بانتواضع المصطنع المسهب ، وحشاها بأشعاره وذيلها بالمدائح التي قوبل بها من علماء عصره وشعرائهم يوم تسنم منصب الإفتاء ، مما يقال بكل عصر لكل مسؤول ابتغاء الحظوة عند أصحاب السلطان ، وعلى هذا يكون مجموع من ترجم لهم المرادي من المفتين من سنة ٩٢٢ هـ الى آخر القرن الثاني عشر سبعة وثلاثين مفتياً ، آخرهم المرادي نفسه .

اعتمد المحققان في اخراج هذا التراث الدمشقي النافع نسختين مخطوطتين من هذا الكتاب تعود الثانية منهما للاولى لأنها فيما ظهر مبيّضة لها ، فالنسخة الأصل وقعت للمرحوم الشاعر الاستاذ خليل مردم بك الرئيس السابق لمجمع اللغة العربية بدمشق ـ طيب الله ثراه ـ وهي قد آلت فيما بعد الى ظاهرية دمشق ، عنها نسخ بقلمه وخطه ـ كما ذكر المحققان في المقدمة ـ الأستاذ مردم بك الجزء الاكبر من الكتاب في نسخةٍ خاصة به عليها بعض التعليقات والملاحظات ، أهداها فيما بعد ولده الشاعر الاستاذ عدنان مردم بك ، فيما أهدى من كتب أبيه الى المجمع مشكوراً ، فاجتمعت للمحقّقيْن في الظاهرية والمجمع نسختان من الكتاب هما معتمد التحقيق والمقابلة .

هذا ، وقد ضم المحققان للكتاب ذيلين ليسا من صنع المرادي ، الاول وريقات مخطوطة في ظاهرية دمشق تضمنت تراجم شديدة الايجاز للمفتين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من بدء إحداث منصب الافتاء الى المفتي محمـود حمزة ، فهي تشترك مع كتاب المرادي من أوله الى ترجمة المرادي ، ثم تنفرد عنه الى المفتي محمود حمزة المتوفى سـنة ١٣٠٥ ، ويرجح أن كاتبها عاصر هذه الفترة الاخيرة أو بعضها وأخـذ عمَّن سلف ، واني لأميل الى أن تكون هذه الوريقات واسمها الكامل على غلافها (رسالة فيمن تولَّى وقضى وأفتى) اختصاراً لكتاب المرادي (عرف البشام) من مطَّلع غير عالم كما يبدو ، مع اضافات من المختصِر ، وان لم يظهر على ذلك دليل . وأما الذيل الثاني فهو من صنعة الاستاذ محمد مطيع الحافظ أفادها مما نقله عن عمه المرحوم الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت وهو من كبار العلماء الدمشقيين المعمَّرين، كما أفادها من دراسات له متفرقة في التاريخ وفن التراجم . وهذا الذيل استمرار لتراجم المفتين بعد الشيخ محمود حمزة الى يوم نشر الكتاب.

وقد تتوج كتاب (عرف البشام) بعد خطبة التحقيق بمقدمة مفيدة موسَّعة اشملت على :

أولاً : ترجمة واسـعة للمؤلف ولأشهر آبائه ولأسـرته المرادية ، مستقاة من ترجمته الذاتية ، وممن ترجموا له ولأسرته كالبيطار والحصني والجبرتي والزركلي وأضرابهم ، وفي آخرها جدول بنسب بني المرادي ، ثم بحياته ومؤلفاته .

ثانياً : دراسة للكتاب في فصوله وتراجمه .

ثالثاً : نسخ التحقيق المعتمدة ووصفها وصفاً علمياً ووضع رمـوز خاصة بهـا .

رابعاً : منهج التحقيق .

خامساً : دراسة عن الذيلين ، ثم تأتي الروامز .

ويقع الكتاب في نحو ثلاث مئة صفحة ونيف من صفحات القطـع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العادي ماعدا المقدمات التي استغرقت من أول الكتاب زهاء عشرين صفحة.

فالكتاب قيم يؤرخ لنا الافتاء والمفتين في مدينة دمشق ذات المآثر الخالدات ، والمفاخر الباقيات ، دمشق عرين العروبة ومعقل الاسلام وفسطاط المسلمين في آخر الزمن ــ ليؤرخ لنا عرف البشام ذلك كله في زهاء أربعة قرون .

والعمل جيد ومشكور ، والجهد واضح الاثر ، ومصادر التحقيق ومراجعه كثيرة تدلّ على اطلاع واسع ، وعمق في الدرس ، وأصالة في منهج البحث،زد على ذلك حُسن الاخراج والتبويب وغزارة المعلومات.

على أن الكتاب لم يخل من أخطاء مطبعية قليلة ندّت لا تخفى على القارىء استدركها المحققان في الصفحة ذات الرقم ٣١٠ من الكتاب .

وهناك ملحظ أجدني ملزماً بالاشارة اليه ذلك هو قلة شرح بعض المصطلحات العلمية كالدَّوْر وبحر السلسلة وما ماثله فهذا لا يعرفه من القراء إلا المتخصصون وأشباههم .

وثمة أيضاً نوع اقتصار في الرجوع الى المراجع الرئيسية في شروح الغريب ضمن التعليق لا في التراجم ، فأشهد أنها مستوفاة في هذا المضمار بقدر واسع ، فقد اعتمد المحققان على شرح كلمتي عرف البشام على القاموس المحيط ، وكان الأليق أن يرجعا الى لسان العرب أو تاج العروس أو الصحاح للجوهري وما شابه .

أما رأيي الخاص في صنعة المرادي فهو أن أسلوب هذا الرجل قديم لزمانه طويل ممل ، فيه كثير من الحشو والإطناب ، وهو رحمه الله معذور في ذلك فليس في وسع الرجل أن يتجاوز عصره وأن يكلمنا بلغة نهاية القرن الرابع عشر وبداية الخامس عشر وهو في نهاية الثاني عشر وبداية الثالث عشر الهجري ، فهو انما يكتب بلغة ذلك العصر . ولا يد لأحد في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك ولا نستطيع مخالفة أمانة النقل والتحقيق والعهدة العلمية فنذهب الى اختصار الكتاب أو تهذيبه . ولكني لو استُشرت لاقترحت زيادة ذيل ثالث في آخر الكتاب يُعدُّ ملخصاً لما سبق ، ويُجعل ذيلا لكتاب المرادي، يشتمل على تراجم مختصرة وافية لكل مفتٍ أورد المرادي له ترجمة في كتابه تقع في زهاء خمسة أسطر تضم اسمه الكامل ولقبه وكنيته وولادته ونشأته وشيوخه ووظائفه ومتى تقلد الفتيا ومتى عزل منها ومتى توفي ومكان الوفاة مع ذكر مزيته العلمية ، وحذف ما سوى ذلك من الأشعار والاقوال ، فبذلك نكون قد أرحنا الباحثين من عناء الخوض في تلك التراجم التي أغرقت في الغلو والمبالغات والالقاب والنعوت والاشعار التي لاطائل تحتها ، فمن أراد من الباحثين اللب والجوهر فعليه بهذا الذيل ينقع غلته وينل بغيته ، ومن أراد أن ينقل نص كلام المرادي لغرض توثيق فعليه بالاصل فهو بين يديه ، وتُرتَّب التراجم في هذا الذيل حسب حروف المعجم، ولعل ذلك يكون في الطبعة الثانية .

وبعدُ ..

فذلك كله لا يغض من قيمة الكتاب ولا يصرف النظر عنه ، فهو كتاب قيِّم جداً ، وتحقيقه ونشره كذلك أضفيا عليه حلة سيراء موشَّاة ، فأضحى بحيث يجدر بكل من له اتصال بالبحث العلمي أن يطلع عليه نظراً لما حوى من الفوائد التي لاتكاد توجد في غيره ، لاسيما في الهوامش والذيول ، واني لا أبالغ أبداً اذا قلت ان جهد المحققين يوازي جهد المؤلف ان لم يزد عليه والفضل للمتقدم ، فرحم الله المرادي وبارك بالاخوين اللذين نشرا علم المرادي وفضله وخصّا دمشق بلد العلم وعش العلماء بهذه العناية والرعاية التي هي لهما أهل ، وهما أيضاً لكل مكرمة أهل .

دمشق في ١ ربيع الانور ١٤٠٠ هـ — **الدكتور محمد عبد اللطيف فرفور**

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net